المعمارى / المعلّم

عصام صفى الدين

٨ فبراير ٢٠٢٢.

هذا الجمال

يجب أن يظل هكذا... ظاهراً ومؤثراً
فهو مجموعة من القيم

مُقَدِّمَة :-

مع كامل تقديرى للجهد المبذول لكل من أوكلت إليه مسئولية إصلاح الحال، وصلاح الوطن، وأيا كانت التحفظات الجانبية منى أو من ذوى الرأى السديد كنقد وفق أصول مرجعية... أكتب هذا المكتوب، من خلال إهتمامى بثقافة العمار والعمران، وإنشغالى بالمحاضرة عبر خمسة وخمسون عاماً، بكليات الهندسة والعمارة والفنون والآثار والسياحة..... وبحرية رأيى حيث لا مصلحة لى عند أحد، ودون أن يكون هذا إنضماما إلى من ينتقدون بالمشاعر، أو من يسيئون بالكلمة دون إعتبارات ودون إستبيان، أو دون وعى. أكتبه حرصاً على مجموعة من القيم العلمية والفنية والتى قد تكون غائبة نسبياً، مع حماسة وسرعة الإصلاح، ووفق ما أعتقد فى جدواه مع تاريخ إجتهادى الطويل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

5 وحين كنت أنا أكتب هذا تصادف أن قرأت بأن أحد أعضاء مجلس النواب يعلن في مداخلة تليفزيونية بأن لا وجود لهذا المشروع عند البازليكا ، وانما هو مجرد مجسات أرضية لتطوير أعمال بالصرف الصحي ، ثم أيضا فوجئت ببيان منشور على التواصل صادر عن أحد الأفراد وبنفس المعنى ... !! وما أعلمه أن الصرف الصحي لا يمر بمسار الجزيرة الوسطى لأي طريق ، فاندهشت مستنكرا صحة ما قيل ، فبادرت واستوثقت وتأكدت أن المشروع للكوبري الحاجب للبازليكا تحت الاعداد والدراسات تمهيدا للتنفيذ الفعلي .... ولهذا عدت لأستكمل كتابتي لعل فيها ما يفيد تقويما وترشيدا .

6 وإن نجح مسعاي مع آخرين في هذا التقويم ، فلا عيب بتاتا في التراجع عن نيّة أو قرار صادف كل هذه الاعتراضات ، أو إن كانت للمشروع أهمية كبيرة ناتجة عن دراسة تخصصية من ولاة الأمر ، فيمكن إعادة التفكير من خلال وسائل وحلول بديلة مستقبلا ، دون تأثيرات سلبية على ما نراه قيمة أو مجموعة من القيم .

بجاز :-

للأسف ... لم أنتبه بعد من متابعة ما تم بشأن ما طرحته بخصوص عجلة الملاهي بالزمالك والذي وجد طريقه .. بفضل الله واعتمادا على رسالتي لرئيس مجلس الوزراء ، وعلى جهد النائبة دالیا السعدني ، وإعادة التقييم وإيقاف هذا الأمر السيئ ، فإذا بي أمام مفاجأة أخرى - ترفعني شخصيا وترفعني إليكم أيضا كثرة ممن يعلمون مدى اهتمامي ، ومدى ما أعتمد عليه من معايير نقدية ... ، دون إندفاع لحظي كرد فعل ، خاصة بعد كثرة ردود وأفعال الغاضبة والرافضة تجاه ما يسمى حاليا مسارات كبارى علوية فيما حول موضع كنيسة البازليك بمصر الجديدة ، وبعضها مصحوب برؤى ومقترحات أخرى لحل ما هو صعوبة حركة مرورية ، ولشديد الأسف فإن بعض الاعتراضات مصحوب بإساءات لفظية ، أو تروج بجهل لا أرتضيه ، مع افتراض حسن النية لدى الجميع لدى أي من المسئولين أو لدى أي من المعترضين ، حتى مع وجود أي من التحفظات ، أو المقترحات ، فكلنا شركاء ، حتى لو لم يتم ذلك الحوار المجتمعي الواجب مثل هذا الأمر كميراث جماعي وعمراني ، وطبعا بما أفترضه من وجود الأدب الراقي في الحديث الفكري والنقدي والحرص على التوازنات للصالح العام .

وإذا كان عنوان حديثي يحوي كلمة الجمال كمدخل يبدو عاطفيا ... فإن الأمر فعلا يحتسب للجانب الجمالي أهمية قيمة ضمن ما سأتعرض له ، وغير أن إجمالي الجوهر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كلما إجتهاد علمي عقلاني في المغزى والتشخيص واستعراض جوانب متعددة، هذا بالإضافة طبعا للجانب الشخصي (والذي أفضله مؤقتا من الرأي النقدي) ، حيث أن مصر الجديدة هي موئل طفولتي منذ عام ١٩٤٧ ، ثم صباي وشبابي ورجولتي ، التي احتاجت مع دخولي إلى كلية الهندسة أن أتركها مضطرا ، حيث ما أصاب ضاحية مصر الجديدة (أو التي كانت ضاحية) ما أصابها من تدهورات متعددة ، وتشوهات ، وزيادات في التلوث غير المخطط ، وعدم إدارة للعمران في الأربعين عاما الأخيرة ، خاصة وبسبب تأميم شركة مصر الجديدة عند أول سبعينيات ، لكن قلبي مازال متعلقا بها وحتى الآن.

وبرغم مرور عدة أيام ، فأنا لم أندفع للكتابة إلا بعد الاستبيان والاستوثاق والمراجعة ، بل والمعاينة والرصد ، والتشاور مع نفسي ومع آخرين ممن أثق برأيهم ، في عموم الأمر ، ثم وبعد الرجوع إلى كل ما هو لوائح وقرارات تنظيمية تخص مصر الجديدة ، وتخص تراثها وقيمتها المعتمدة من الجهات الحكومية المنوط بها مثل هذه الأمور.

وبناء عليه أعرض الآتي :-

أولا :- الأصل والخطة والتخطيط لضاحية مصر الجديدة :-

(١) كتبت في موضع آخر سابقا منذ أكثر من مدة عام (٢٠٢٠/١٢/٢٦) تأريخا موجزا لنشأة مصر الجديدة كضاحية جميلة ومثالية تجاه الشرق الشمالي للقاهرة عند أوائل القرن العشرين ، برغبة لمستثمر أجنبي ، واعي بالتعمير وثقافة العمارة ، وناظر إلى الثروة الطبيعية لمصر ، وهو البارون إمبان ، الذي ضرب مثالا ممتازا في مثالية العمران ، وطبقا طبعا للمحددات المكانية ، والمعايير التخطيطية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، والذي إهتم بأن يكون للشأن المعماري صياغة تحاكي ما تتميز به مصر مناخيا ، وتراثيا ، وظهر هذا في الأجزاء التي بدأ بها تسديدها بمعماريين أجانب اقتنعوا بذلك تماما" ، وفي نفس الوقت لم يتم الحجر على أية صياغات معمارية أخرى كانت تمثل طموحات وطرز عبر زمن التأسيس وما بعده ، من خلال تأسيس شركة لإدارة هذا العمران ، بمحددة التوجهات للنمو والاشتراطات للكافة ما يتم بناؤه ، من خلال تصاريح ومتابعات حاسمة من إدارة الشركة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وظلت الأمور منضبطة تماما، حتى حل تيار التأثيم المدمر عند أول سنوات الستينيات، وبدأت إرهاصات التسيب والاستثناءات والمخالفات، ومتغيرات إستعمالات الأراضى والمبانى والشوارع، والأسواق.

(٢) وتم استقراض مراحل من نموها المخطط، ثم مراحل من نموها دون ترشيد، وانما إنسياق بلا تحجيم أو قيود أدت إلى الكثير من المتغيرات، خرجت بها من مواصفات الأصلاحية المحدودة، والجميلة إلى كونها شوارع ومبانى ووظائف متضاربة، ومحاور دخلة، واستقواء لرؤوس الأموال غير المثقفة، وتغير الكثافات السكانية والكثافات المعمارية، وسوء الصيانة والإدارة، مع تضاعف الحجم أفقيا ورأسيا بعد عدد المساحة المحسوبة عليها، بلا ضابط.

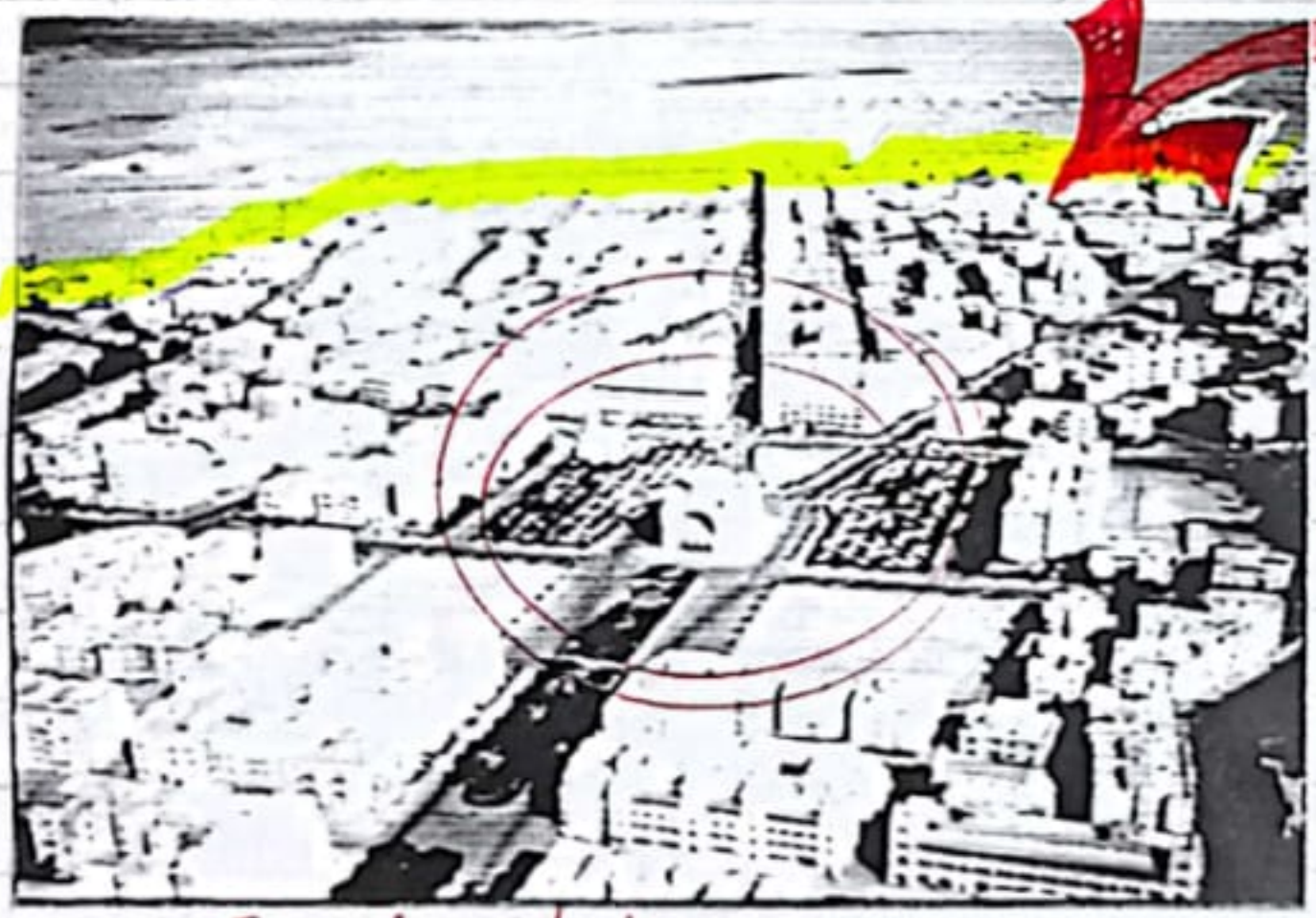

- نطاق ضاحية مصر الجديدة حتى سنوات الثلاثينيات
- النطاق للضاحية حول سنوات الثلاثينيات والحى المسامى والتذكارى الجميل لكنيسة البازليك
- الزمن الحالى فى (٢٠٢٠).
- فترة أول نمو وفق المخطط المرسوم من ١٩٢٠ تقريبا وحتى ١٩٦٠.
- فترة النشأة حتى حول ١٩٢٠.
- ميدان القاهرة الدولى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا:- الهيكل العام لشبكة الحركة :-

في نطاق المساحة المركزية والأقرب للفترة التراثية منذ النشأة ثم حتى ما حول أواسط سنوات السبعينيات ثم المحيط الحالي بها

مع كل المتغيرات الإيجابية في قلبها والسلبية في كثيرها عبر مائة عام وصلت الحال إلى وجود محاور حركية تلقائيا بعضها ذات حركة وكثافة مرورية عالية وبعضها لا علاقة لها بأصلها رغم حياة مصر الجديدة التي أصبحت مدينة خاصة بعد التمدد والمتغيرات الإقليمية فأصبحت معبراً لكن ظلت القصبة المتمثلة في شارع الأهرام واستمرارها شمالا هي المحلية الموضعية ذات الصلة بالنطاق التراثي ⑤

ثالثاً:- مسار شارع الأهرام :-

- يعتبر مسار شارع الأهرام ... سواء بنفسه مبتدءًا من عند مدخل نادى هليوبوليس الاجتماعى والرياضى ، أو من المدخل اليها من إتجاه ميدان روكسى هو المسار الرئيسى الداخلى إلى قلب النواة التراثية ، وأنه ليس مساراً تحيطها خارجيا ، أى أن دوره له خصوصية خاصة به ، حيث التفرع عنه أو التجمع اليه ، فلا يعتبر ضمن المعابر التى أصبحت واقعا مريرا ، قطع فى أوصال التمدد للخوف فى فترات ما بعد منتصف القرن الماضى ، وهى تلك المعابر التى هو من خارج مصر الجديدة ليصل إلى أماكن عمرانية و اقليمية أخرى ، شمالاً أو شرق أو غرب ... والعكس بالنسبة لعمران مدينة مصر الجديدة ،

- وقد تعرض له علاجا (من وجهة المسئول عن الحركة والعمران) منذ عامين تقريبا ، لكنه يختنق نسبيا بصورة طفيفة فيما بعد ميدان البازليك الجميل ، مع الاتجاه شمالا الى شارع عثمان بن عفان قبل تقاطع صلاح الدين وصولا الى ميدان الاسماعيلية ، وكان ذلك غير محسوس قبل متغيرات الوظائف والكثافات السكانية والمرورية تبعا لذلك ،

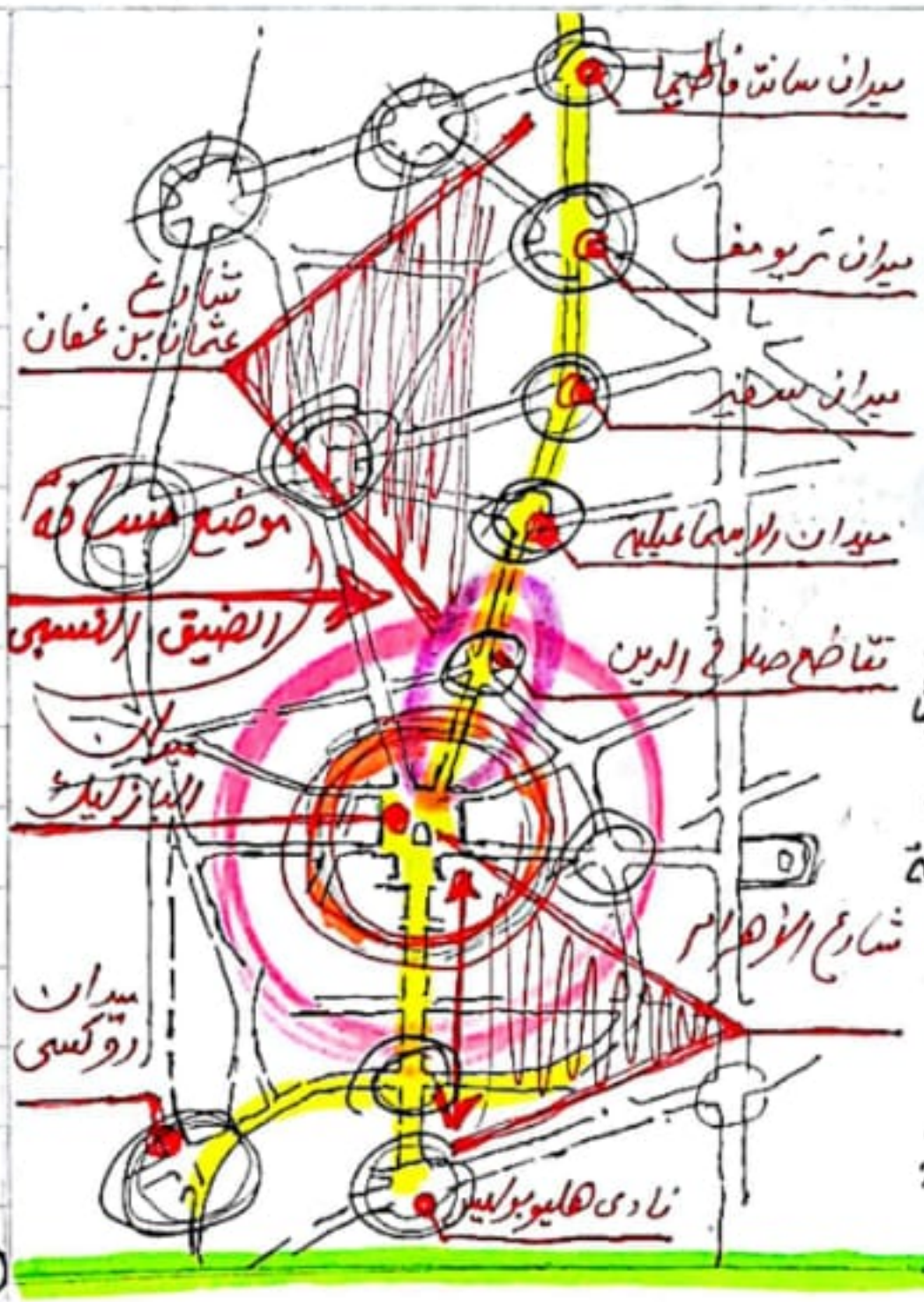

- إن موضع مسار شارع الأهرام وامتداده المرحلى المتتابع يمثل فعلا فترات النمو المتتابع إلى الشمال لمصر الجديدة عبر الستين أو السبعين عاما الأولى من عمرها ، وقبل الامتدادات غير الرشيدة.

- سرعة الحركة المرورية الحالية عبر شارع الأهرام هى حول الأربعين كيلو متر ساعة أو يزيد ، فيما عدا ما بعد ميدان البازليك حتى صلاح الدين فهى حول الخمسة وعشرين كيلو متر ساعة ، وهذه السرعة أو السابقة عادية ومناسبة فى محور حركة محلى داخل جسم عمران مصر الجديدة ، والاتجاه إلا ضبط الأنشطة والاشغالات فى الجزء الضيق فقط ، عند مسافة البطء للحركة

رابعا:- إعتبارات القيمة والتراث والجمال:-

(١) كلمة بازيليكا Basilica هكذا بالإيطالية، تُرجمت إلى صالة أصلا بالمدينة وبالمدينة الرومانية، وهى أصلا نابعة من كلمة وصفية للشيئ الملوكى أو الملكى... ثم مع الزمن أصبحت تطلق على المبنى العام ثم تخصصت للإطلاق على المبنى الدينى للعبادة ... وهو الكنيسة بالذات، ثم أصبحت بمرجع التصميم نمطا معماريا فى طريقة المستطيل الأفقى، وصاحبته صيغة صيانة شكل معمارى خاص. وغالبا" هى ما تكون مع التوجه الكاثوليكى فى العقيدة المسيحية.

(٢) اهتم البارون إمبان بوجود هذا الرمز الدينى والجمالى، بل والميدانى ليكون موصولا بقصره من خلال مسار عرضى عمودى على شارع الأهرام من ناحية القصر شرقا إلى الغرب، وكانت بوضعها هذا الرمز والدين قد احتاجت حيزا خاصا بها، لتبدو برهيبتها ظاهرة من كل اتجاه، خاصة من بعد، لتأكيد الموقع والرمز، وساعد ذلك فى أن تكون هى بموقعها رمزا بصريا وجماليا، وأيضا هو فضاء لتفريغ مسار محور شارع الأهرام إلى عدة اتجاهات، فزادت القيمة البصرية فى المعنى وفى الإحساس بالجمال، وفى المخطط الهيكلى للحركة الداخلية للفضاءين، وفق المداخل والفكر التخطيطى أيام التأسيس للفضاءين، وبواصفات العروض وحارات الطرق بما يناسبه ذلك الوقت وبعض استشعارات المستقبل القريب، والذى لم يكن متوقعا أن يتكون متغيراته الإرادية أو التلقائية أو غير المخططة المرشدة بالصورة التى وصلت إليه الحال.

(٣) يعتبر الشكل المجرد لكتلة هذه الكنيسة أو البازيليكا شكلا جماليا فى عمومه، وفى علاقات أجزاء الكتلة، وفى تفاصيله المعمارية والزخرفية، بما يستوجب الاحترام.

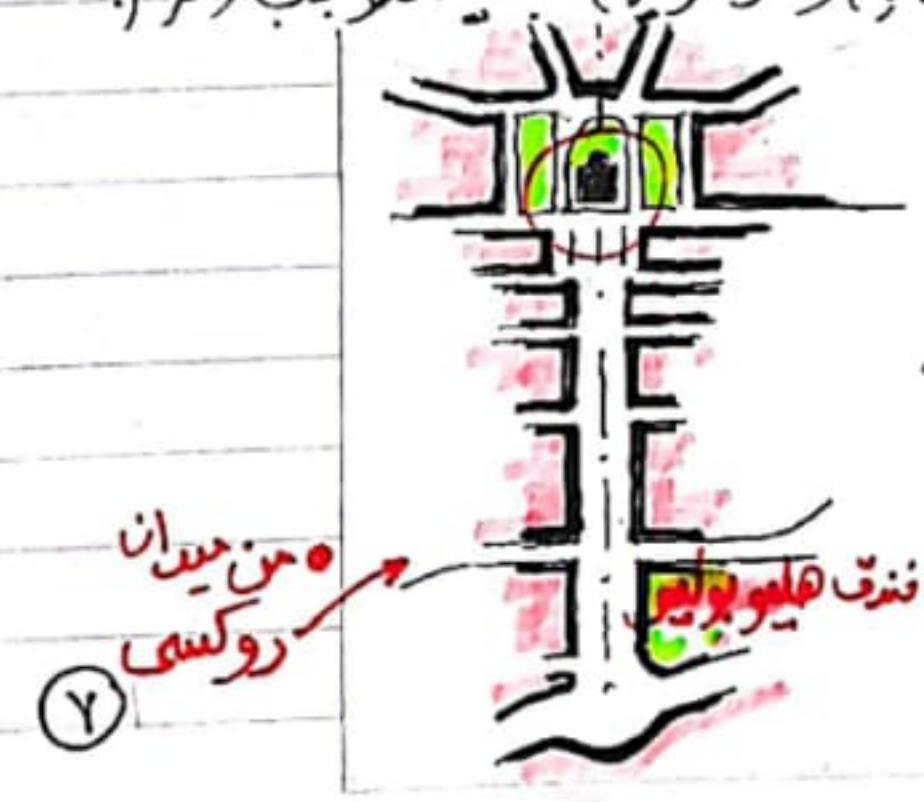

(٤) يلاحظ القيمة الجمالية فى واجهة الكتلة وأنها ذروة المشهد الجمالى بعد تتابع الأجزاء من خلال محور شارع الأهرام... مشهد نادر عمرانيا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- تتوافر فى هذا الموضع مجموعة من أنواع القيمة مثل :-

أ ـــ قيمة تذكارية .
ب ـــ قيمة معمارية .
جـ ـــ قيمة إبداعية .
د ـــ قيمة تاريخية .
هـ ـــ قيمة جمالية .
و ـــ قيمة تخطيطية .
ز ـــ قيمة خاصة وهى وجود جثمان الرجل العظيم داخل مقبرته أسفل البناء للبازيليكا، وهو الرجل الذى أحب مصر، وأسس بها هذه الصناعة الجميلة، والتى أصبحت مثالا متميزا.

٦- تتوافر قبل الموضع وبعده مجموعة من الجماليات الإعمارية فى التصميم العمرانى الذى نقوم بتدريسه للطلبة مثل :-

أ ـــ مسار له بداية وله نقلات تتابعية ثم له نهاية ذروة.
ب ـــ مسار يتغير فى مشهده وتتابعه بعض الوصول إلى هذه الذروة، وهو استمرار تلقائى للمسار من شارع الأهرام، ويعتبر تتابعا جديدا، وكل مرحلة لها شخصيتها البصرية، والتى تمثل المرحلة التاريخية للنمو العمرانى العمرانى ومدارس وطرز فترته المعمارية مع الإتجاه شمالا، لخلخة غو مدروس وقبل النمو الطاغى والمؤسف فيما بعد سنوات أواخر السبعينيات.... وهى مراحل تخرج من ميدان وساحة البازيليكا إلى مرحلة تقاطع صلاح الدين ثم ميدان الإسماعيلية ثم مرحلة تقاطع سفير غمر تربو مغ ثم سانت فاطيما، ثم النهاية عند الطريق العرضى الأخير عند نادى الشمس حيث يتقاطع نطاق الكلية الحربية، وكل مسار داخلى موضعى للتجميع أو للتوزيع داخل الجسد العمرانى بمصر الجديدة، وبكثافة المناسبة نسبيا.
جـ ـــ ولهذا فإن المحور كمسار يعتبر هو أيضا قيمة، بالرغم من الضيق النسبى بعد ميدان البازيليكا مباشرة وحتى تقاطع صلاح الدين، وكأنه يعلن عن نقلة ما بين الجزء التالف الأقدم إلى النمو المناسب الأحدث.

٧- سرعة الحركة الآلية فى هذا المسار هو صفاته هذه، ومع التتابعات ما وأيضا مع أى من الاختلافات والتنوعات فى التصميم المعمارى والطرز والطابع، مناسبة جدا للإدراك البصرى للمسائر، وهو من أهم عوامل نجاح أى تصميم عمرانى، وهذا لهما بالإضافة إلى مشاعر المسائر العادى المترجل من المشاه.

٨

خامسا:- عودة إلى الفكر التخطيطى والمعمارى والمرورى :-

(١) يتضح مما تقدم ذكره بالكلمة وبالرسم وبالصورة، أن هناك أرصفة كثيرة يجب أن تكون داخلة فى حسابات أية معالجات عمرانية، سواء أكانت نباتية أو مرورية .... وما إذا كانت دخلية أم أصلية، خاصة فى أحد المدرسين هل هو داخل أم هو عابر فقط، خاصة فى المناطق والمواقع والمواضع والمسارات ذات الاعتبارات والقيمة الخاصة مثل - والتى يندر تكرارها مثل (ها) ... والتذكارية على وجه الخصوص.

(٢) وإن كنا ضد ما يقال عنه بشكل مرورى مؤثر سلبا بدرجة ما، فإن مسار شارع الأزهر هو مسار موضعى لمحلى داخلى، ولا يصيبه الاختناق، أو الاضطرار للإقلال من السرعة التأليبية داخل جسم المدينة، لا يزيد طوله عن مسافة ستمائة متراً، مع سرعة اضطرارية إلى ما حول ٣٠ كيلومتر/ساعة فى المسافة ما بين موضع نطاق الباز ليكا وحتى تقاطع صلاح الدين، حيث الضيق النسبى فى عرض المسار وحيث وجود بعض الأنشطة التجارية والإدارية حاليا، وذلك بعد أن كانت السرعة من ٤٠ إلى ٥٠ كيلومتر/ساعة فى المسافة من ابتداء جنوب المسار عند نادى هليوبوليس وحتى موضع نطاق الباز ليكا، ثم التحول يمينا إلى اتجاه موضع كنيسة كليوباترا والعودة مرة أخرى يسارا لعودة الاتصال بالمحور قبل صلاح الدين ثم البيع، فما زال ذلك مناسبا لسرعات داخل المدينة، ولفترة زمنية لا تتعدى فرق الزيادة أو العطل إلا ما حول دقيقة ونصف. (وذلك على معاينتى (الشخصية) ....

(٣) على إدارة العمران الخاص بمصر الجديدة العمل على الاحتفاظ بهذا الوضع وهذه المواصفات للسرعة وعرض المسار أولا لأنه طريق محلى وثانيا لتنبيه قائد السيارة بأنه ... وإن كان فى مسار محورى طويل ... فإنه قد انتقل من نطاق إلى نطاق ما وأنه ما زال ضمن الطريق المحلى .... حيث نخاف إن سمحنا بتحويل الحركة من السرعة المناسبة لداخلية المدينة إلى سرعة عالية أن يزداد الاستعمال فتترتب على ذلك عدة مشكلات.

(٤) وعلى إدارة العمران أيضا مراجعة المتغيرات فى الاستعمالات المسيئة للمسار فى هذه المسافة بالذات وإعادة النظر فى ما فيه المصلحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٥) وأيضا وبالضرورة ، وبحكم المسئولية الحكومية ، تقف الإدارة الموكل إليها أمر تنسيق وحماية العمران والحفاظ ، معاودة محاسبة كل من تسبب في تشويهات ومتغيرات الشكل المعماري ، أو الوظائف المناسبة للمكان إعتمادا على أصل التخصيص ومع احتمالات مصلحة ما في أية متغيرات في حدود ضيقة ، على طول المسار من ميدان عمر الجنوب وحتى منتزهاه ، حيث ما وصلت إليه الحال السيئة للظواهر ، التي بدأت مع أواخر ستينيات القرن العشرين ، وأضاعت الصورة البصرية الجميلة لصياغات الواجهات ونظم البناء ولوائحه ، سواء ما كان منها قديما لمحاكيا للعمار مصر الإسلامية في العصر المملوكي ، أو ذلك المتأثر بعمار شمال غرب أفريقيا أو أجزاء ومسحات من طرز الباروك أو الروكوكو أو الإرديكور أو الحديث ... أو حتى المعاصر ، مع رفض وتغيير ما تم من إزالات أو إضافات أو معالجات ، وذلك بما يعيد إلى عمار المسار ظواهره الجميلة والمحترمة الأصلية التي أسرمت في سمعة وحمالية مصر الجديدة ، وتكون هذه المراجعات مقرونة أيضا بمتغيرات الوظائف.

(٦) مع مراجعة كافة الأنشطة المسببة في إعاقة المرور والانتظار ، والنظر في تدبير معالجات أو مواضع لانتظار السيارات طبقا لذلك .

(٧) وأيضا مراجعة ورفض كافة اللافتات الإعلانية الضخمة والخافتة لحمالية العمران ، سواء ما كان منها قائما مستقلا منفردا ، أو ما كان منها مثبتا على جدران وشرفات المباني على طول المسار.

(٨) حين نقدم بقياسات ومقارنات المتغيرات العمرانية والمعمارية والمرورية عبر الخمس سنوات الماضية فنجدها تتوازى مع كم متغيرات وطفرات عبر عشرون عاما قبلها ، وهذه العشرون تتوازى مع كم متغيرات عبر خمسون عاما قبلها أيضا ، والخمسون سنة تتوازى مع كم متغيرات عبر أكثر من مائتي عام قبلها ، وبناء عليه.. فإن استثمارات وتصورات المستقبل قد تكون بمعدلات أكثر وأكثر نظرا لتغير نمط الحياة والتقدم التقني وأيضا احتمالات متغيرات في المرور وطريقته وكثافته ... وفي حال المرور فقد تكون الفترة الحالية هي الذروة العددية للكثافة إذا ما تحكمنا في ترشيد النمو والحركة والوظائف ، وأيضا قد تكون الحال على وضع آخر من الاعتماد على المواصلات العامة ، أو تكون السيارة أقل حجما وأقل إشغالا لمساحات الطرق ... وهو أمر وارد .

(١٠)

سادسا:- وقفة تأمل ومراجعة:-

① الأمر جد خطير إن كنا نمس تراثا وقيما ومثاليات وحياة أفراد لا يعتمدون ظاهريا على ما نذكره من تراث أو قيم أو مثاليات، وإنما هي تؤثر عليهم تلقائيا حسب درجات التسامي أو التدني، الدراسة المتأنية أو العجالة، الحل الأقرب كمسكن أو الحل التتابعي كعلاج مستمر هادف، الحوار المجتمعي العام مع احساننا طرحنا أو الإعلان عنه والتأكيد على معايير الحوار ومقدماته ونتائجه.

② تتوافر عندنا في مصرنا قيما كثيرة قديمة أو عتيقة أو حديثة منذ عهد الأقدمين وإلى المعاصرين، كتراث تراكمي واضح ما ولا نحتاج لاختلاق قيم أو تراث وجماليات ما فلنحافظ عليه فهي حظ عظيم.

✳ وبناء عليه:-

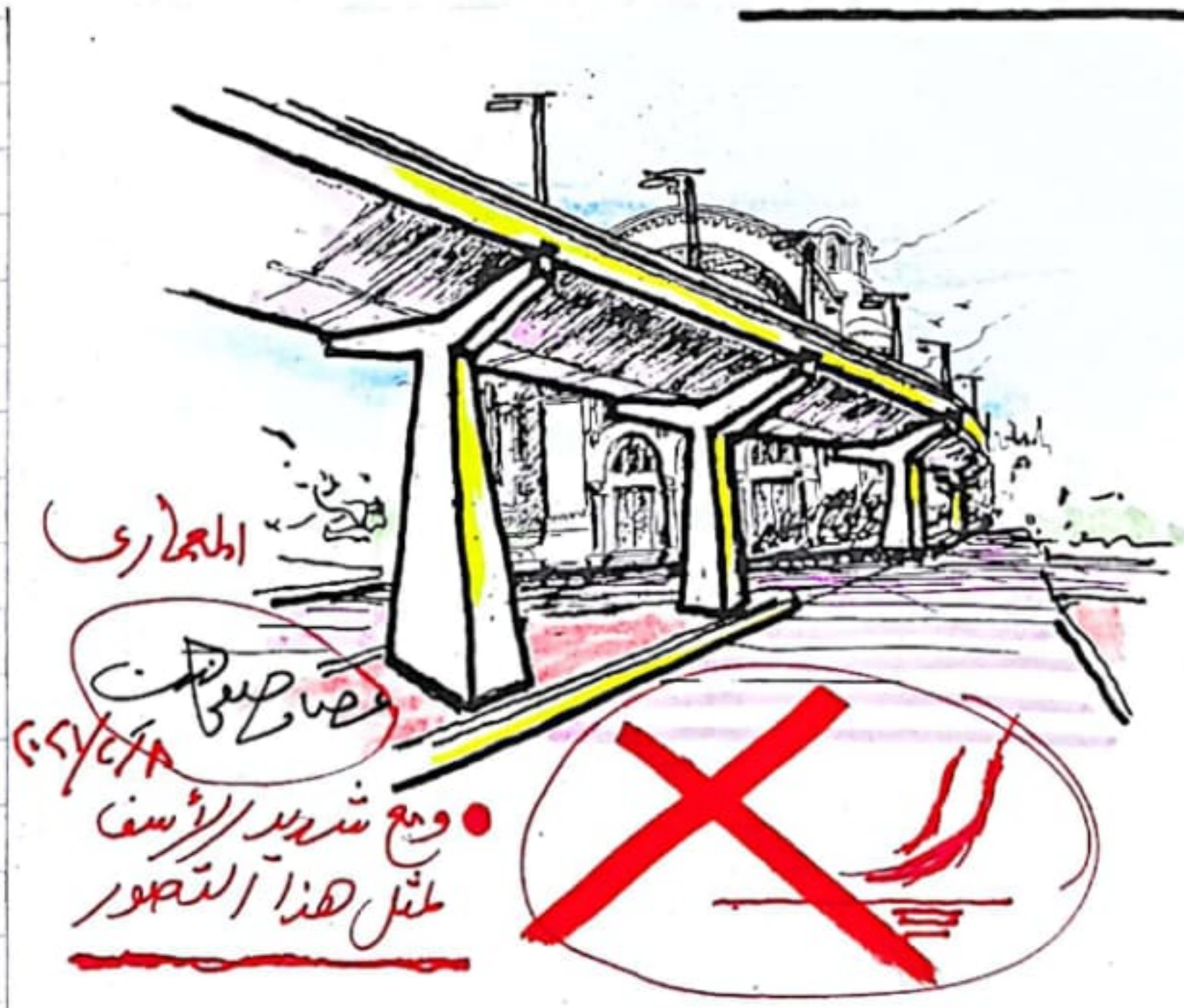

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner